مقدمة

مع وجود الإنسان ظهرت الإدارة فهي عمل قديم قدم المجتمع الإنساني وقد مارس الإنسان العمل الإداري منذ حياته ، ولو بشكل عفوي وغير مقصود، فهو يسعى ويعمل على البقاء والحفاظ على وجوده والاستمرار والتكاثر، فكان يفتش عن المكان الآمن ويسعى للحصول على غذائه وحماية نفسه وعائلته ، والاستفادة من محيطة وتسخير الطبيعة لإنجاز أعماله والعيش بسلام مع مجاميع بشرية أخرى فهو يمتلك ويتبادل المواد والأدوات التي وضعها أو حصل عليها مع الآخرين فهو يزرع وينتج ويكتشف ما حوله من أسرار يطوعها لخدمته ويدجن الحيوانات للمساعدة في إنجاز الأعمال الزراعية والحصول على الغذاء والتنقل.

خلاصة القول:

إن مكونات العمل الإداري في شكلها البدائي قد مارسها الإنسان قديماً فهو اكتشفها بعد إحساسه بالحاجة وبدأ يفكر ويخطط وينظم حياته ويتخذ القرار وبتقادم الوقت والسنين ظهرت ملامح النطور في الفهم والممارسة لكافة وظائف العملية الإدارية ، وتنقل الإنسان قديماً من الحياة البدائية إلى الحياة المنظمة والهادئة تقريباً فمن حياة الكهوف والتوحش إلى مرحلة الزراعة وتربية الحيوانات وبداية الظواهر الطبيعية والاستفادة منها إلى مرحلة اللغة وتبادل الكلمات واكتشاف الإشارات واكتشاف النار وصناعة الأدوات والآلات الزراعية والأسلحة.

وقد شهد العالم قديماً ظهور حضارات كبرى وضعت قوانين وأنظمة للمجتمع فمن حضارة وادي الرافدين الموغلة في القدم إلى حضارة وادي النيل والحضارات الاغريقية واليونانية والرومانية والصينية والهندية والفارسية ، والتي تتاقلت الثقافة والعلوم والمعرفة إلى مرحلة ظهور الديانات التي تميزت بعامل مهم غلب على كثير من شعوب الأرض وهو ظهور الأنبياء والرسل ودور العبادة وانتقل المجتمع إلى مرحلة أكثر تنظيماً وعدلاً ، وتفاوتت هذه

الأديان بكثير من الأدوار والإصلاحات التي أرادت من خلالها توعية بأهمية العبادة والتقرب إلى الرب بالأعمال الصالحة.

وتوجت هذه المرحلة بظهور الإسلام دين التربية والعلم والتنظيم والرحمة والتطور وتجسدت كل هذه الصفات والمزايا الكريمة بشخص الرسول الحبيب محمد (صل الله عليه وسلم) فكان قائداً وملهماً ومعلماً وإنساناً رحيماً وعطوفاً بنى دولة عصرية قوية على أنقاض المجتمع ووظف إدارة الخير والتسامح لتكون النور الذي أضاءه ظلمة البشرية ، وجعل من هذه الرسالة نموذجاً يقتدي به كل شعوب الأرض ، فهو إداري وقائد من الطراز الأول علم أصحابه والمسلمين وارسى تعاليم الدين الحنيف وعلمهم فن الإدارة والحكم والشورى وصفات الحزم والشجاعة والتسامح ونشر العلوم والثقافة الإسلامية ، وانفتح على العالم بروح الحب والسلام.

الإدارة والانسان:

قبل أن قامت الإدارة على العلوم والنظريات فان حياة الإنسان اليومية والاعتيادية والعفوية في كثير من الأوقات لم تخلو من الوظائف الإدارية بل أن الحاجات المتجددة لكل فرد منذ نشأته ولحين انتهاء حياته هي عبارة عن إدارة وتخطيط وتنظيم وقيادة وقرارات ورقابة وإعادة تنظيم.

فالطفل له شأنه الخاص والشاب يزداد اهتمامه وتأخذ حياته بالتنظيم والقيادة والإنسان حيثما يبلغ مرحلة النضج ووصوله إلى العمل المنظم المستمر ويريد أن يحقق أفضل أهادفه والوصول لأعلى قمم العمل والإبداع والتطور، وعلى الرغم من اختلاف هذه الأهداف والغايات فإن الإنسان يعمل على تنظيم وإدارة شؤونه الخاصة وحياته في البيت والمدرسة والجامعة والعمل بما يحقق نوع من الاستقرار والتطور، فهو يعيش الإدارة بكل مفاهيمها وعناصرها وهو يشق حياته فهو يمارس التخطيط عن غير قصد حيثما يبدأ برنامجه اليومي بدأ بالنهوض من السرير والاغتسال وتناول الطعام وتغيير الملابس والذهاب إلى المدرسة أو الجامعة أو العمل إلى حين انتهاء دوامه والعودة إلى البيت وأن يفعل ذلك بكل حلقاته دون قصد ولأنه لا يدرك هذه

الخطوات الإدارية والتنظيمية ولا يضع فواصل فنية أو توقيت ، فإنه لا يدرك أهمية ما يعمل أحياناً ، وأن التطور الإداري واعتماد النظريات الإدارية إنما يتبع بشكل واضح من الأهمية والاقتصادية بالدرجة الأولى فقد وضع علماء الاقتصاد عدة نظريات للعمل وتنظيمه وأوقاته وحوافزه وقيادته ، كل ذلك من أجل توفير الربح الجيد للمعمل والمصانع الكبيرة وكذلك لاستثمار الوقت على أفضل ما يمكن مع الاستفادة من طاقات العاملين وتوظيفها ، وقد تطورت هذه المفاهيم حتى أصبحت الإدارة علم قائم بذاته لا ينقطع عن بقية العلوم ودخلت الإدارة مجالات علوم النفس ونظريات القيادة والرقابة ، ولم تهمل التنظيم والتخطيط ، فهي الآن من المكونات الأساسية التي تدرس ، فأصبح الإداري الناجح هو الطالب المتفوق والمدرس القدير والعامل المجد المثفاني ولأن الإدارة والعالم تمارس المفهوم الجامعة وفي المدرسة وفي المسكن في فإنها شاملة وفي العمل وفي كل مناحي الحياة ، لأنها أصبحت ضرورة حياتية لا مفر منها.

تفهم الإدارة كما يراها الإنسان ، وتوجد الإدارة بوجود الإنسان ، ولا حياة للبشر بدون إدارة فعندما يوجد الإنسان تتواجد الإدارة بأشكالها ووظائفها فهو إذن يعطى الإدارة بعدها وشكلها وواجباتها.

وإن الإدارة كوسيلة لتعريف الأعمال وتجديد الحياة وديمومتها ، وجدت لخدمة الإنسان وتلبية احتياجاته والبحث في استمرار الحياة وتطورها ويمارس الإنسان أدق تفاصيل حياته وأسباب وجوده بشكل أسرة ويكون عائله صغيرة ويتبنى مصالح الجماعة ويطور أسلوب حمايتها ضد الأعداء من الحيوانات والجماعات القوية ، ويتحالف ويتألف مع أفراد وجماعات جديدة ليشكل قبلية ومجتمع، يتصدرها قائد أو عدة قادة ، تتحول هذه الجماعات من العصر البدائي عصر الزراعة وتحصيل الغذاء وتخزينه إلى عصر صناعة الأدوات والمواد الزراعية والحربية إلى التفتيش عن المعدات والأدوات الأكثر تطوراً إلى عصر الآلة ولتصنيع المعدات لتكون عظيم الإدارة وسيلة تطور عظيم

طوع بواسطتها الحياة وطورها وأحسن استثمارها بعقل تجاري وتضحيات جسمية وملاحم تاريخية امتدت لآلاف السنين.

الإدارة قديماً:

مارست الإدارة بشكل واضح أقدم الأمم ، وكان للإدارة دوراً مهماً في تطور هذه الأمم والحضارات ، وما وصلنا من آثار ومخطوطات وارقام وألواح وكتابات إلا دليل واضح على فعل العمل الإداري في انضاج هذه التجارب الإنسانية ، لأجل تسليط الضوء على تاريخ الإنسان والإدارة لا بد من الحديث عن هذه المراحل والحقب التاريخية بشيء من التفصيل.

المرجلة الأولى: وهي تمتد من بداية نشوء الكون وخلق الإنسان مروراً بكل المجتمعات والحضارات القديمة مترزت هذه المرحلة بأعمال وانجازات عظيمة تدل على وجود الإدارة بكل مكوناتها من تخطيط وتنظيم وقيادة ، ولأن الإدارة عملية قديمة قدم الإنسان فأن تطورها كان موازياً لتطور المجتمعات بل كانت مهمة وضرورة لهذا النمو والتطور.

إن ما يميز هذه المرحلة أنها كانت تجمعات بشرية متباعدة في المكان والزمان ، ومن أبرز هذه التجمعات هو ما ظهر في بلاد الرافدين ، وما وصل إلينا من شواهد وآثار في الكتابة والفلك والقانون وهندسة الري والبناء.

وكذلك الحضارة المصرية وشواهدها القائمة المتمثلة بالأهرامات وشبكة الري وهندسة البناء في سوريا والأردن وفلسطين ، مروراً بالحضارة العربية في اليمن وإنجازات بناء مآرب والحضارات الأجنبية الأخرى والإغريق والصين والفرس وكثير غيرها ، كل هذه الحضارات والانجازات لم تكن تظهر لولا وجود نظام إداري متميز تخطيطاً وتنظيماً وقيادة ، ولو أننا نلمس أن الإدارة قد ارتبطت بنوع النظام السياسي والعسكري والديني السائد.

ففي الوقت الذي ركزت الحضارات العربية على العلم والهندسة والحكمة والعقل العسكري ، وإن الحضارة الإغريقية ركزت على الفكر والخيال في اثننا وعلى التربية العسكرية في أسبارطة ، وأن الحضارة الصينية قد ركزت على النظام العسكري الصارم في التربية والإدارة.

المرحلة الثانية: وهي المرحلة الوسطى ، أي مرحلة ظهور الرسالات والأديان السماوية ، وقد تميزت هذه المرحلة بأن الإدارة مع كونها عامل نمو وتطور عملي فإنها أصحبت جزءً من النظام الديني السائد ، فقد أكدت كافة الرسالات السماوية والأديان على أهمية العمل والإدارة في نشر هذه التعاليم السماوية وإقامة نظام الرسالات السماوية وقامة نظام اجتماعي واقتصادي وديني كبير يكون أساساً لبناء مجتمع يؤمن ويعمل بميادين وتعاليم الأنبياء والرسل ، ولأن هذه الرسالات السماوية وقد تعاقبت في النزول والظهور غير أننا لا بنغي دور أي منها ، فاليهودية والمسيحية في تعاليمها قد عملت على توحيد المجتمعات وعلى إقامة نظام إداري ديني يحكم بشرع الله تعالى ويثبت أركان المجتمع الجديد ، ولكم ما يميز هذه المرحلة هو ظهور الدين الإسلامي على يد خاتم الأنبياء والمرسلين فحريص بنا أن الخلاصة ، خلاصة الأنبياء وخلاصة الأديان على أن لا ننسى أنبياء الله ورسالاته التي سبقت الإسلام قام الإسلام على بناء النموذج فكانت شخصية الرسول الكريم محمد (صل الله عليه وسلم) الفذ والمؤثر والقدوة للمسلمين (ولكم في رسول الله أسوة صنة) الأحزاب (من الآية: ٢٠) .

ثم مبدأ الشورى ، للعمل الجماعي والتداول في اتخاذ القرار (وأمرهم شورى بينهم) (الشورى من الآية: ٣٨).

ثم وصايا العمل التي تجسدت في الرأفة والرحمة والتعامل والإدارة قال تعالى: (بِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنِتَ لَهُمْ أَ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ أَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) (آل عمران: ١٥٩).

وإلى أسلوب إدارة المجتمع الجديد وتأسيس قواعد الدولة الإسلامية في خضم صراعات قبلية صعبة وشبه الجزيرة الجغرافية والمخاطر المحدقة بالدين الجديد وما يحاك في الخلفاء لهذه الرسالة التي تصدت لمجتمع الكفر والجهل والعصبية والتناحر.

فأمر الدولة الإسلامية لا يحتمل التأجير أو التردد في أتخاذ القرارات الحاسمة ، فمن الهجرة إلى صلح الحديبية إلى فتح مكة إلى تجهيز الجيوش لنشر الدين الجديد كل هذه التحولات والقرارات الاستراتيجية الحازمة تحتاج إلى قيادة من النوع خاص وإدارة فذة تمتلك رؤية بعيدة وأدوات فاعلة ومؤثرة من نوع خاص ومميز ، تجسدت هذه الإدارة والقيادة بشخص الرسول الكريم محمد (صل الله عليه وسلم) وصحابته الأبرار ، فكانت دولة الإسلام وكان منهج الحياة وعز الإنسان حينما وجد، فقد أعتنقه الأسود والأبيض والأصفر وامتدت دولته إلى فرنسا وإلى تخوم الصين ، وما يميز هذا الدين هو الوسطية والتسامح ولذلك سرعان ما أنتشر ولا يزال وسوف يبقى إلى يوم الدين ، ازدهرت الحضارة والثقافة والعلوم والمعارف على مدى هذه السنوات رغم تعاقب الأمراء والدول وانتقالها من الجنوب إلى الشمال إلى الوسط إلى العرب دولاً وإدارات وجيوش وعلماء وقادة فمن مكة والمدينة وإلى الشام وإلى بغداد وإلى مصر وإلى قيروان وإلى الأندلس.

المرحلة الثالثة: وهي المرحة التاريخية التي اعقبت ضعف الدولة الإسلامية وتشيطها وانخفاض مستوى قادتها وإدارتها والتي قامت على أنقاضها الثورة الصناعية في أوربا إبان القرن الثامن عشر وما تلاه ، فقد تميزت هذه المرحلة بالتحول للإنتاج وتحقيق مزيداً من الأرباح الذي أفرز تطوراً فكرياً ونظرياً لمفهوم الإدارة فقد ظهرت النظريات الإدارية ، وأصبحت هناك عدة مدارس فكرية تدرس علم الإدارة منها الذي يعني بالأهداف ومنها يعني بالإنسان فالمدارس الغربية تعني بالأرباح كهدف وهي التجارب الغربية والأمريكية ، وأما المدارس الشرقية فهي تعني بالإنسان كالتجربة والاشتراكية وظهرت مدارس وسطية تدعوا إلى تبني أفكار هجينة لا رأسمالية ولا اشتراكية.

إن ما يميز هذه المرحلة أنها اعتمدت الأسلوب العلمي في الإدارة حتى أن بعض المفكرين اختص بالإدارة العلمية ، وتفسير ذلك أنه لا بد من اعتماد العلم في تحليل الظواهر وتقبيم النتائج وأن الإدارة هي علم الوظائف ، لا بل أن آخرين ذهبوا إلى وضع وظائف للإدارة وهي التخطيط والتنظيم والتنسيق واتخاذ القرار ،

وقد أخذت الإدارة مفاهيم أكثر تعقيداً في هذه المرحلة فهي علم وفن وفلسفة أو فكر من شأنها أن تؤثر في الحياة ، إلا أن التطور لم يلغ في العلمية الإدارية دور الإنسان فهو يبقى الهدف والوسيلة في نفس الوقت. وإن الإدارة ارتبطت بشكل واضح بالأهداف المرسومة فلا إدارة بدون أهداف واضحة ومحددة سلفاً فردية كان هذه الإدارة أم جماعية أي شخص كانت أم ذات بعد وظيفي أو رسمي.